أدب الفصحي
وأثره في دعم الوحدة العربية

د/ عبد الحميد هلال عبد العزيز
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربيـــة
بأسيـــــــوط

تمهيـــد :

الوحدة حلم العرب وأمنيتهم ولا غرو ، فيها قوتهم ، وعليها يقوم كيانهم . إن العرب أمة كبيرة ، لها تاريخ مجيـــــد ، وهي في الحاضر منتظر ، وإفادتهم من تاريخهم ، وفعاليتهم في حاضرهم تتوقفان علي مبلغ تماسكهم ، وهم يتماسكـــون بقدر اعتصامهم بوحدتهم . كل عربي الآن ينظر الي ما يحيـط به فلا يجد إلا مطامع غير محدوده من أعدائه ، ويبحث عـــن الخلاص والحماية فلا يجد ذلك إلا في الاعتصام بأسباب الوحـــده ومن حسن حظ العرب أن توفرت لهم تلك الأسباب ، وقويـت عندهم دعائم التوحد والتماسك ، فآمن بالوحدة جميعهم حتـــي أولئك الناشزون من الصف لايجرءون علي إنكار فعاليتهـــــا وثباتها في وجه المطامع العدوانية التي بدأت تغزو عالمهم العربي ، من أطرافه .

مقومات الوحدة العربية :

أ ـ أول مقومات الوحدة العربية عندنا هي العروبة والجنس الواحـد ووحدة الجنس عندنا تدعمها وحدة العادات والتقاليد وكثيـــر

من الصفات والسمات التي طبعت العرب في تاريخهم القديم بطابعها الخاص ، وما زالت تعمل عملها فيهم الي اليوم ، قد يكون - عند غير العرب - الجنس واحدا ولكن ظروف الحياة فرقت بين أبناء هذا الجنس الواحد ، فتعيش كل جماعة من أبناء هذا الجنس تحت ظروف حياة خاصة بها . فتمتاز بصفات مختلفة وعادات وتقاليد متباينة ، ومن هنا تفقد وحدة الجنس قوتها وفعاليتها في تجميع هؤلاء القوم المختلفين مزاجا وصفات وأخلاقا وعادات وتقاليد . لكن الحال عند العرب مختلف تمام الاختلاف .

إن العربي منذ القدم تميز بالشجاعة والوفاء وإباء الذل وبالكرم ، وهي صفات مازالت موجودة ، ويضيق المقام عن سوق الشواهد والأدلة علي ثبوتها عند العربي قديما وحديثا، وعلي كل حال فهي من الوضوح بحيث لاتحتاج إلي إثبات .

٢ - ومن المقومات أيضا التاريخ الواحد . والحضارة الواحدة التي جمعت بين أبناء العروبة في كل زمان ، فأمة العرب ذات تاريخ واحد ، عاشوا في جزيرتهم أحقابا طويلة ، قد تدعوهم ظروف الحياة إلي النزاع والمشاقه ويصل الأمر بهم إلي حروب تطول أو تقصر ، ولكنها تنتهي في نهاية الأمر وتعود المياه الي مجاريها كما تعود بين أفراد الأسرة الواحدة . وقد تدعو ضرورات الحياة إلي هجرة بعض منهم ، فينساحون فيما جاورهم من الأرض يعيشون

في وطنهم الجديد غير مقطوعي الصلة والعلاقة بأصولهم في شبه الجزيرة ، حتي إذا تهيأت لهم فرصة التجمع في ظل الإسلام وجدناهم قد تجمعوا في سرعة عجيبة أذهلت العالم ، وسرعان ماترابطت أجزاء الأمة العربية بعضها ببعض في وادي النيل والشام والعراق وبلاد المغرب وكل بلد فيه أصل عربي ..

وأما حضارتهم فقد قامت متميزة علي مبادئ الدين الإسلامي وإذ كان الإسلام قد عمهم ، وقام أساسا لحضارتهم فإن وحدة الحضارة قد توفرت لهم . وعلي مدي تاريخهم الطويل خاضت الأمة العربية متحدة معارك ضد الطامعين فيها من فرس ورومان وتتار وصليبيين .. إلي الاستعمار في عصرنا الحديث ، وأخيرا الصهيونية التي تقابل أطماعها وخططها الخبيثة بصخرة شديدة من الأمة العربية ستتحطم عليها آمالها وأحلامها إن شاء الله تعالي .

٣ ـ ومن المقومات للوحدة العربية الوطن الواحد ذو الحدود الطبيعية الواحدة ، ومعلوم للجميع أن الوطن العربي في مشرقه ومغربه متصلة أطرافه لاتفصلها فواصل طبيعية من بحار أو جبال ، ومن هنا كان حرص الاستعمار علي زرع جسم غريب في قلب الأمة العربية يقوم فاصلا بين شرقيها وغربيها ، واختار أداته لذلك شراذم اليهود والصهيونية ، ولكن الخطة تجد المقاومة نفسها التي تقابل جراثيم مرض خبيث يغزو جسم إنسان فتوقظ فيه

عناصر المقاومة ، وينتهي الصراع بالقضاء علي الجراثيم المهاجمة وتعود للجسم قوته وصحته .

٤ - وأقوي هذه المقومات ، وأكثرها فعالية اللغة والثقافة . وللعرب لغتهم الجميلة التي جمعت بينهم منذ القدم ، والتي أكرمها الله برسالة خالدة هي خاتم الرسالات ، وأنزل بها القرآن الكريم ، وحفظها بحفظه ، ونشرها بانتشاره : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١) وقد كانت اللغة أهم مقومات الوحدة بين العرب منذ القدم ، وهي الآن أقوي تلك المقومات وأقدرها علي الصمود أمام المؤامرات التي حرص الاستعمار وجهد في تدبيرها ، فكم من دولة انتهزت فرصة ضعف في الأمة العربية ، وهجمت عليها في عنف وقسوة هادفة إلي القضاء علي أسباب التماسك بينها ، وأهمها اللغة ، ولكنها كانت محاولات ضائعة تفتت علي صخرة اللغة الصلدة المتينة ، حاول الأتراك نشر لغتهم بين أبناء العرب في شتي أقاليم الأمة العربية التي خضعت لهم ، ولكنهم كانوا يحاولون عبثا ، وجاء من بعدهم الاستعمار الحديث وجهد في نشر لغته وإضعاف العربية ، ولكن مصير محاولاته لم يكن أفضل من مصير محاولات الأتراك ؛ حتي هذه البقاع المتطرفة والتي ادعي المستعمر أنها جزء لايتجزأ

---

(١) سورة الحجر الآية ٩

من أراضية ، وأن سكانها ليسوا عربا ، بل فرنسيين - قهرت الاستعمار ، وهزمت مخططاته ، وعادت بكل قوتها إلي العربية تقويها ، وتعتز بها ، وكان كل عدو حاول النيل من اللغة العربية :

كناطح صخرة يوما ليوهنها .. فلم يضرها وأوهي قرنه الوعل

الأدب من بين هذه المقومات :

وإذا كانت اللغة العربية أساسا متينا من أسس الوحدة العربية ، فإن هذا الأساس يقوم أول ما يقوم علي الأدب . صحيح أن اللغة تعمل عملها في الربط بين الناطقين بها من حيث إنها وسيلة التفاهم بين القوم ، ووسيلة تدوين العلوم والمعارف المتوارثة والمستحدثة ، ولكن أدب اللغة يعمل عمل السحر في جمع القلوب علي مبادئ وقيم متحدة ، وذلك أساس متين للوحدة ، إن الأدب لغة الجميع المحببة التي تحمل معها أسباب تعلق القلوب به ، وذلك بما توفر له من عناصر تجعل الناس شغوفين به ، مقبلين عليه الأمر الذي لايتوفر للعلوم وأنواع الثقافات الأخري .

ومن هنا كان الأدب لغة العامة والخاصة ، من حيث فهمه وتقبله والاستمتاع به ، لذا كان له من التأثير القدر الكبير . إن الأدباء وإن كانوا طبقة خاصة إلا أن نتاجهم الأدبي يشيع بين أفراد الشعب جميعهم ، خاصتهم وعامتهم ، بخلاف العلوم التي يشتغل بها العلماء فقط ، ولا يتقبلها إلا أمثالهم ، أو طبقة المتعلمين

الذين يتخصصون في فروعها .

الفصحي والعامية في الأدب :

العامية والفصحي مشكلة نشأت علي إثر اتساع الوطن العربي ، وانتشار لغة العرب في مناطق غير تلك المأهولة بالعرب ، مما أدي إلي امتزاج لغة العرب الصحيحة باللغات القديمة للأقاليم العربية الجديدة ، وكان الخطر القائم متمثلا في الخوف من فساد الألسنة في الحديث والتخاطب ، ولكن لغة الكتابة في البلاد العربية التي أحكم عليها العرب قبضتهم ، وبسطوا عليها نفوذهم - ظلت العربية الفصحي ، ومضت الأيام والصراع بين الفصحي والعامية يحتدم ، ولكن في الحديث والتخاطب فقط ، ثم وجدت العامية بعد ذلك منفذا لها في مجال التدوين والكتابة مع تفكك الأمة العربية وضعفها الذي انعكس ضعفا علي كل ماهو عربي حتي اللغة . ولكن الكتابة بالعامية كانت مرذولة ، حتي أهل علينا العصر الحديث بنهضته العلمية والأدبية في الوطن العربي ، وعاد للغة الفصيحة شبابها وقوتها علي يد روّاد النهضة الحديثة من أمثال البارودي ومن هم في طبقته الأدبية ، وأخذ ظل الاستعمار يتقلص بعض الشئ عن البلاد العربية ، وبخاصة في مصر والشام ، وهما معقل العربية ، وعاد للغة الفصيحة شئ من الازدهار والقوة لولا ماتأثر به الأدب العربي من آداب وافدة ، من أهمها القصة والمسرحية ، ونحن وإن كنا

نري كثيرا من القصص وبعض المسرحيات التي كتبت في العربية حديثا باللغة الفصحي سواء أكان مترجما أو مؤلفا إلا أننا لحظنا ميلا عن بعض الأدباء إلي استخدام العامية في القصة قليلا ، ولكن في المسرحية وجدنا خطر العامية يشتد ، حتي تكاد العامية تستأثر بها .

ومن الطبيعي وقد احتدم الصراع بين العامية والفصحي في مجال المسرحية أن يحاول كل فريق الدفاع عن رأيه ، وقف المخلصون للعروبة لغة ووحدة يتصدون للذين يكيدون لها ، وهي سهم الاستعمار . وكان رأي المناهضين للعربية الفصيحة أن العامية أقدر علي النفاذ إلي أفهام الناس لأنها لغتهم التي يتحدثون بها ، ويتعاملون بها في شئونهم اليومية ، وإذا كانت الفصيحة لغة العلوم فلا بأس ، لأن الذين يتصدون للعلوم يتقنون العربية فهما وحديثا ، وهم أيضا في حاجة لها ، لأن علوم العربية قائمة علي تراث عربي موروث مسجل بالفصيحة ، أما الأدب ، وبالأخص ما كان متصلا منه بالتمثيل فلكونه يتجه إلي عامة الشعب وخاصتهم علي السواء فلا بد أن يكون في مقدور أفهام العامة قبل الخاصة ، حتي يثمر الأدب ثمرته كاملة في تثقيف الشعب .

وقد غنم الاستعمار فرصة الصراع بين العامية والفصحي في لغة الحوار ، فلم يضيعها ، وانضم علي الفور إلي صف المناهضين

للفصحي قاصدا من ذلك إلي إضعاف لغة العرب التي تجمعهم علـهم يتفرقون فيضعفوا ، فيجد فرصة للسيطرة عليهم والتحكم فيهم .

وهب المخلصون من أبناء العروبة ، أدباء ومفكرين يتصدون لهذه الدعوة الخطيرة ، كاشفين ما بها من زيف ، وماترمـي إليه من تآمر شديد علي العرب ومقوماتهم ، وفي مقدمتها لغتهم .

إن العرب يحرصون علي وحدتهم حرصهم علي الحياة نفسهـا ، وليس في ذلك مايستغرب ، فالأمم في عصرنا الحديث تندفـع اندفاعا الي التكتل ، وتجميع القوي ، حتي تستطيع الصمـود أمام القوي العظمي التي ظهرت مع ازدهار العلوم وتطبيقاتها فـي عصرنا الحديث . فإذا كانت الأمم التي لا تجمعها جامعة سـري هذا الشعور بالخطر حريصة علي التكتل والتجمع ، فأحري بالأمة العربية التي هي أمة واحدة أن تتماسك ، وأن تحافظ علـي تماسكها . فالأدب بما يخاطب الضمائر والمشاعر أقدر علـي توفير وسائل التماسك . ولايمكن للأدب العربي أن يخاطـب كل العرب ، ليؤثر في مشاعرهم ، ويوحد بين عواطفهـم إلا إذا كان مفهوما لديهم جميعا ، ولا سبيل إلي أن يصـل الأدب العربي إلي أفهام كل العرب إلا إذا كانت الفصحي وسيلـة إلي ذلك ، لأنها هي الوحيدة المفهومة من كل عربي علي تباعـد الأقطار العربية جغرافيا وسياسيا ومرحليا ،

ومطلب الوحدة العربية مطلب مقدس لأهميته في بناء كيـان

العرب وتحقيق ذاتيتهم وتوفير قوتهم، وتسخير الأدب لخدمته ليس إهدارا لطاقته في غير ضرورة . وإذا كان للأدب رسالة في تثقيف الشعوب وتنويرها ، وبث المبادئ والقيم المرغوب فيها بين أفرادها ، فإن له رسالة أخري لاتقل أهمية عن هذه وهي تجميع الشعوب وتوحيدها والربط بينها بما يحفظ لها قوتها وأسباب عزتها ووجودها . والتوفيق بين هذين المطلبين ضرورة لاغني عنها ، وهذا التوفيق ممكن وفي المقدور .

إن أدب العامية وإن كان قادرا علي تحقيق الرسالة الأولي ، فإنه عاجز تماما عن النهوض بالرسالة الثانية ، بل هو بطبيعته الإقليمية مناهض لها ، عامل علي هدمها ، لكن أدب الفصحي قدير علي النهوض بالرسالتين معا ، فلغة العرب الفصيحة مفهومة من كل العرب مادامت بعيدة عن التعقيد والألفاظ الغريبة التي أهملت ، وفي غيرها من الألفاظ السهلة المتداولة مايغني .

إن كل العرب يفهمون العربية الفصيحة فهي لغة التعليم في مختلف المدارس ولغة التأليف في شتي العلوم والفنون ، ولغة الصحافة والإذاعة ، والكل يفهمها ، ولم يشك أحد منها إلا اذا كان العيب في الكاتب . أما العامية فلا يفهمها إلا أهل الإقليم الضيق ، وأهل العصر الحاضر ، وسيموت كل أدب يكتب بها في الحال إذا خرج من الإقليم الذي كتب فيه ، وفي المستقبل بكل تأكيد في جميع الأقاليم ، لأن العامية مقضي عليها بالزوال

نتيجة التطوير في اللغة ، وهو أمر محتوم بحكم الطبيعة ، وهو وهذا التطوير إنما يتجه نحو الاقتراب من اللغة الفصحي نتيجة انتشار التعليم ووسائل الإعلام وأهمها الصحافة والإذاعة ، وهي تصطنع الفصحي في كل ماهو هام وجاد .

وليست أهمية الفصحي في الأدب قاصرة علي أنها عامل توحيد وتكتل فحسب ، بل إن الفصحي أقدر علي التعبير عن كل الأفكار من العامية ، فالفصحي بما لها من أصالة وقدم وتراث اكتسبت ثروة واسعة في المفردات ، وفي التعبيرات ، وفي وسائل النحت والتوليد مما لا يتوفر للعامية التي لا أسس لها ، ولاضوابط ولا قواعد ، وكل ماهو كذلك مصيره إلي زوال .

إن المستقبل للفصحي ، وهذا من حسن حظنا أمةً يهمها أن تتماسك وأن تتوحد . وكل دعوة إلي العامية إنما هي دعوة إقليمية ضيقة أقل مايقال فيها إنها قليلة الفائدة للأمة وللأدب نفسه ، ويمكن أن يقال عنها إنها مؤامرة عدوانية خائنة تستهدف مقوما من أهم مقومات الوحدة العربية ، التي نحن في حاجة إليها حاجتنا إلي الحياةنفسها .

أدب الفصحي ينهض بدوره في دعم الوحدة العربية :

ونهوض أدب الفصحي بدوره الهام في دعم الوحدة العربية لايستند إلي نظرية فقط قد أوضحناها ، وأثبتناها بقدر ما سمحت به ظروف هذا البحث الموجز ، بل يستند إلي الواقع في عالم

العرب قديما وحديثا ، ولايعوزنا التدليل علي ذلك ، فكتب الأدب ، ودواوين الشعر الفصيح معروفة ومشهورة ، وهي تحمل عملها في النهوض برسالة الأدب بشقيها التربوي والوحدوي .

وحّد الأدب بين قبائل العرب ، وكانت متخاصمة متنافرة في الجاهلية ، وأحاديث أسواقه مشهورة ، وبخاصة سوق عكاظ ، وقد كان ما ينشد فيه من أشعار عاملا من عوامل التوحيد ، وتجميع العرب علي لهجة واحدة من لهجات قبائلهم المختلفة وهي لهجة قريش ، مما كان توطئه للوحدة العربية الشاملة التي جاء بها الإسلام ، مرتكزا أيضا علي قمة الأدب والبيان الفصيحين في القرآن الكريم . يقول الدكتور (طه حسين) رحمه الله :

(أما الذي استطاع أن يؤلف شيئا مابين هذه القبائل المتفرقة فهو الشعر الذي لم يكد ينشأ حتي فرض لهجة بعينها علي الأمة العربية كلها في جميع أطرافها وأقطارها من الجزيرة العربية ، فكان الشاعر العربي إذا أنشأ قصيدة ، وأنشدها في ناد من الأندية فهمها عنه الناس مهما تكن قبائلهم ، ومهما تكن لغاتهم الخاصة - ثم لم يكتفوا بفهمها ، إنما كلن الرواة يتناقلونها عن الشاعر ، وكانت القصيدة لاتكاد تنشد حتي تشيع في الجزيرة العربية ، فأول توحيد للعقل العربي إنما جاء من هذه الناحية ، فالمكون الأول لإيجاد وحدة؛ بين هذه القبائل العربية إنما هو الأدب ، والشعر

بنوع خاص .) (١)

أما في الحديث فقد كان الأدب الفصيح من أهم عوامل الارتباط والوحدة بين أبناء أمة العرب ؛ ليس بين أقطارهم في الوطن العربي فحسب ، بل بينهم في الوطن والمهاجرين منهم في شتى أقطار الأرض ؛ إن أدب المهاجر شعرا ونثرا معروف ، وبقدر ما يمثل طورا راقيا من أطوار الأدب العربي يمثل أيضا رابطة قويه بين منشئيه في مواقع هجرتهم البعيدة وإخوتهم العرب في الوطن ، بل هو يسهم في تثبيت الروابط الموجودة بين بلد وآخر من بلدان هذا الوطن بما اشتهر وانتشر في جميع أقاليم البلاد العربية ، وهل كانت تتوفر له هذه الرسالة السامية لو لم يكن باللغة الفصحي ؟ إن معظم الذين هاجروا من الشاميين ، فلو أنهم تقوقعوا في إقليميه ضيقة ، وقصروا نتاجهم الأدبي على لهجة بلاد الشام التي فيها نشئوا وترعرعوا ، ومنها هاجروا إلى مهاجرهم .. لو أنهم أنتجوا أدبهم بلهجة الشاميين ، هل كنا نجد له هذا الشيوع ، وتلك المكانه اللذين نراهما له الآن ؟

انظر إلي الشاعر المهاجري : (إلياس فرحات) وهو يري في اللغة العربية رباطا وحدويا متينا ؛ فينشد قصيدة طويلة بعنوان : (نحن عرب وأبناؤنا إفرنج) يأسي فيها لظاهرة تفرنج الجيل الثاني من أبناء المهاجرين ، ويذكر باللغة من

---

(١)

فضل في ضم شمل العرب قديما ، وعزهم بعزها ، هادفا إلـــى تذكير قومه العرب بالمحافظة علي أعظم وأرسخ دعامة وحدويـة . يقول في آخر القصيـــدة (١)

رفعوا الضاد فلما ارتفعت .. رفعتهم وكذا يقضي الوفاء

فيها التف عليهم قومهـم .. مثلما التف علي العود اللحاء

وبها عزوا ولو كنا لهـا .. مثلهم كنا لدي العز سواء

ويثق الشاعر (إلياس قنصل) ، وهو مهاجري أيضا ، فـي رباط اللغة المتين ويطمئـن اليها في جمع شمل العرب وتوحيدهـم ، متحديا باللغة من يحاول أن يفرق بينهم ، مؤكدا أن تلـك المحاولات ستبوء بالفشل ماتمسك العرب بلغة الضاد :

يامن يحاول أن يفرق بيننا .. ويبث سم الحقد والشحناء

إن العروبة قد تفتح جفنها .. في مصر ، في لبنان ،في صنعاء

والضاد تجمعنا فجهدك ضائع .. ولأنت تأثم دون سفك دماء

وقد اكتسبت اللغة منزلة سامية في دعم الوحدة العربية منـذ القدم حتي جعلها الرسول عليه السلام هي الأصل في اكتســـاب الانتساب الي العروبة ، وهل اللغة إلا ماينتج فيها من أدب لـه حظ البقاء . إن الأدب أقوي عناصر اللغات . ورد في تاريـخ ابن عساكر أن رجلا أنكر علي سلمان الفارسي ، وصهيب الرومي

---

(١) ديوان إلياس فرحات ص ١٩٧

وبلال الحبشي أن يكونوا عربا يحسب لهم في نصرة الإسلام ، فوقف النبي عليه السلام في المسجد وقال : (يأيها الناس ، إن الرب واحد ، والأب واحد ، ليست العربية بأحدكم من اب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي.)

ومن هذا المنطق نظر مفكرو العرب إلي اللغة الفصيحة علي أنها أم العرب ، وأقوي رابط بينهم . يقول (حافظ إبراهيم)(١):

لمصر أم لربوع الشام تنتسب .. هنا العلا وهناك المجد والحسب
أم اللغات غداة الفخر أمهما .. وإن سألت عن الآباء فالعرب

ويقول جورج عساف : (٢)

أبناء يعرب إن الضاد أمكم .. لها عليكم حقوق الثدي واللبن

وكان الأدب الفصيح هو الوعاء الذي سب فيه الأدباء مشاعر الأخوة العربية ، وأسمي المعاني الوحدوية التي لها أكبر الأثر في تجميع العرب ، وصيانة وحدتهم ، اسمع معي قول أمير الشعراء شوقي :

كان شعري الغناء في فرح الشر .. ق ، وكان الرثاء في أ ...
قد قضي الله أن يؤلفنا الجرح .. وأن نلتقي علي أشجان ...
كلما أنّ بالعراق جريح .. لمس الشرق جنبه في عما...
نحن في الفكر بالديار سواء .. كلنا مشفق علي أوطان...

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم جـ ١ ص ٢٦٨
(٢) العناقيد ص ٨٧

هذه المعاني الوحدوية ، هل كانت تعمل في الحفاظ علـــــي الربط بين العرب ، وهل كنا نجد لها صدي عند كثير من أدباء العربيـة علي اختلاف أقاليمهم لو لم تُصَغ في عبارة فصحي ؟

يقول (زكي قنصل) وهو شاعر مهاجر : (١)

فإذا صاح في فلسطين ليـــث .. رددت صوته ليوث الشـــام
وإذا جالت العراق سحـاب .. نبت العشب في حمي الأهـرام

ولقد مررت بتجربة شخصية تظهر دور الفصحي في دعم الوحـدة العربية عندما كنت مندوبا للعمل بمدارس البعثة التعليميـــة المصرية بالسودان ؛ ولا نجد سبيلا إلي فهم مايريدون إلا بعـد أن حفظنا كثيرا من مفردات لهجتهم الخاصة بهم ، وعرفنـــا مدلولاتها ، وإلا إذا كان محدثنا متمهلا في حديثه لايسـرع ، ولكن الحال يختلف تماما في المدارس أو المساجد ؛ يقـف التلميذ في حجرة الدراسة يصوغ سؤالا بالعربية السليمة ، فـلا نجد صعوبة في فهمه ، وألقي إليه بسؤالي عربيا صحيحا فلا يتعثر في فهمه ، ويسرع في الإجابة عنه باللغة الصحيحة فلا نخطـئ مراده نحن ولا زملاؤه التلاميذ . أما في المسجد ، فكل ما يقوله الخطيب بالعربية الفصيحة فهو مفهوم لنا نحن المصريين والسودانيين علي السواء . وقل مثل ذلك في أي إقليم من أقاليم العالـــم

---

(١) شظايا ص ٣٧

العربي . وكثيرا ما كانت تدور بخاطري مؤمرات الاستعمـــــار ، وإجهاده نفسه من أجل التفريق بيننا ، فأقول لنفســـــي : محاولات محتوم فشلها تلك التي يجهد الاستعمار بها نفسه مـــن أجل تفرقة الأمة العربية مادامت اللغة تجمعنا ، ومادام كل منا قادرا علي نقل مشاعره وعواطفه إلي إخوته بهذه اللغة الشريفـــة ، لغة القرآن الكريم التي نكن لها جميعا كل تقدير وحب .

خاتمـــــة :

وبعد ، فهل يكون هناك مجال للتشكيك في أثر الفصحـــــي وآدابها في دعم الوحدة العربية ، أو للتقليل من شأن هذا الأثر ؟ وهل يوجد بعد ظهور هذه الحقائق مجال للحديث عن أدب العامية ؟ وهل يجرؤ أحد علي الدعوة إليه إلا إذا كان القصد علاج مشكلـــة محلية وقتية ليس لها صفة العموم ولا الدوام وإلا إذا كان القصـــد تعليل العامة في بلاد العرب حتي يتسنّي للفصحي أن تتم انتشارهـا بينهم بانتشار التعليم ؟ وحتي نحن ننظر إلي هذا المبرر يجـــب أن نعتبره مرضا يجب البحث عن أسباب القضاء عليه ، والشفاء منه بأسرع ما نستطيع ، ولا يكون ذلك إلا بالتمسك باللغـــة الفصيحة ، بعرضها علي أسماع الشعوب العربية - وهي ليســت غريبة علي هذه الأسماع - في كل مناسبة ، فتألفها تلـــك الأسماع ، وتتجاوب معها الأفهام والمدارك والعقول ، وبذلـك توجد بين الأمة العربية الوحدة ، وتدعم بدعامة قوية ، وتتوثـــق برباط متين ، فتصمد لكل حدث ، وتتصدي لكل مؤامرة .

والله ولي التوفيق

د/ عبد الحميد هلال عبد العزيـــــز
أستاذ الأدب والنقد المساعد في كليـــة
اللغة العربية بأســـــيوط